معايير اختيار الكتب والحكم عليها

الباحث: عبد الجليل الغزواني
الباحث: سفيان الحوزي أرجاز
خريجا كلية الشريعة بأيت ملول، أكادير
ماستر قواعد الاجتهاد والتنزيل
المغرب

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، وصلى الله وسلم على رسولِ خيرِ الأصحاب، وعلى آله صحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآب.

أما بعد؛ فإن من أعظم المِنن و أجلِّها على الناس كافة، أن الله –عز وجل– إذا أحب لأحدهم خيرا وفَّقه لتحقيقه، وهيأ له سبُلَ تحصيله، وأرشده إلى ضبطه وتحصينه، إن صَدْرا فصَدْرا، وإن كتابة فكتابة، ثم يهديه إلى جمع وتأليف ما به قد حُجي بين دفتي كتابه، رجاء أن يهدي الله به رجلا واحدا، اقتداء برسوله، غير أن مَن أيقن جودة مقوله، ورصانة حرفه، عز عليه الإلقاء به حيثما وُفق له، ولكنه يَبتغي له من الأوعية أجودها وأنسبها له، مما تبارى فرسان الدُّورِ في إنتاجه من قوالب الدرر، فتنوعت لديهم مسمياتها جودة وإتقانا، فلو ذهبنا نُقلِّب ما أخرجوه من الكتب مما اتحد اسم المؤلفِ فيه والمحققِ، لَتباينت أسعارها تبعا لما التزموه من معاييرِ جودة الورق، نوعًا ووزنًا، تجليدا وغلافًا، كعبًا وأركانا ولفًّا ، فنًّا وكرتونا وورقا؛ ولما كان الباحثُ قد يتيه وتتملَّكُه الحيرة أثناء إقدامه على اختيار ما جُوِّد من كتابٍ في خضم ما تزخر به الساحة العلمية من مؤلفات، ونبضُ فؤادها لا يفتر عن ضخ الكتب، فكان لزاما على أهل السبق والخبرة في هذا المجال، أن يَدلُّوا مَن يأتي بعدهم، ويذللوا لهم صعاب بُلوغ جلدةِ الكتاب وجودتِه، وذلك برسم جُملةٍ من المعاييرِ لرقي ظهرِ مُجملِ الأوصاف ومُبيَّنها، فمتى وقف عليها مجتمعة كانت أو متفرقة، أمكنه الحكم على الكتاب بحسب ما تحقق لديه من تصور تام أو قاصر، ونظرا لما يكتسيه هذا الموضوع من أهمية، ودنوِّ قطف ثمرتِه لكل راغب مُقبل، اهتديت إلى سبيل ترويض قلمي بالبحث والجمع وتقليب النظر في هذا الموضوع، ولما كان الشحُّ صفةً تنفِر منها النفوس، وجب رفعها عن الدراسات السابقة في هذا الموضوع، إذ لم أقف على أي كتابة أكاديمية مجتمعة في هذا الباب، وهذا مما استدعى السعي في جمع شتعته بحثا وطَرقا لكل باب، ودعاني إليه كل ما قد يُسهم في بناء فقرات هذا البحث، وذلك من خلال الكتب أو المقاطع المرئية، أو سؤال أهل المعرفة والخبرة، أو بعض ما اجتمع لدي من معارف.

وبعد جمع المادة؛ تنازعت الفكرَ اعتباراتُ تقسيم البحث وتفقيره برئاسة عناوينَ، فانقدح في الذهن جعلُه ثلاثةَ أقسام: الأول أذكر فيه أركان الكتاب، والثاني شرائطَه، والثالث محسناته.

فعدلت إلى تقسيمٍ آخرَ قريب منه، فجاء على النحو الآتي:

- المطلب الأول: معايير أساسية
- المطلب الثاني: معايير نسبية
- المطلب الثالث: معايير كمالية
- الخاتمة

وأرفقت البحث بست وثائقَ توضيحية لأنواع التغليف والتجليد.

❖ **المطلب الأول: معايير أساسية**

هذه المعايير بليغة الأهمية، لكونها تؤثر بشكل مباشر ومطرد على اختيار الباحث، وعلى مدى موافقته لمعايير الجودة في الاختيار، وتعتبر مراعاتُها مسلكا صحيحا يثمر في وقوع الاختيار الصحيح، وينعكس هذا سلبا إذا أغفلت هذه المعايير؛ وأهمها:

- **1-النسخ المعتمدة في التحقيق**

"يذكر أهل الاختصاص أن أعلى منازل النسخ الخطية وأفضلها؛ ما كان بخط المؤلف، ثم النسخة المنقولة عن نسخة المؤلف، ثم فرعها وفرع فرعها وهكذا، ثم النسخة القريبة من عهد المؤلف، ثم النسخة التي عليها خطوط العلماء"[1].

"والكتاب المحقق من نسخة كاملة أفضل من الذي حقق من نسخة ناقصة، والواضحة أحسن من غير الواضحة، والقديمة أفضل من الحديثة، والنسخ التي قوبلت بغيرها أحسن من التي لم تقابل"[2].

وبناء عليه؛ فاعتماد نسخ المؤلفين معيار من أهم معالم الانتقاء والتفاضل بين الكتب، نظرا لتفاوت النسخ الخطية التي يعتمدها المحقق، فلا يسوّى بين كتاب حقق على نسخة وصلتنا بخط المؤلف، أو قرئت عليه، وأخرى حققت على نسخة منقولة عن نسخة المؤلف، ولا يُسوى بين كتاب حُقق على نسخة كاملة وواضحة، وآخر حقق على نسخة ناقصة أو غير واضحة.

- **2- القيمة العلمية للمؤلّف والمحقّق**

وجه ذكر المؤلف والمحقق ضمن معايير الجودة بين؛ فإن أسماء بعض المؤلفين والمحققين **علامة جودة**، وأمارةٌ تدلك على قيمة الكتاب؛ لدقة فكره، ورصانة فهمه، وسيولة قلمه، غير أن صواب العالم في بعض أبحاثه، لا ينسحب على إنتاجه كله.

- 3- **سؤال أهل المعرفة والخبرة**

فلا شك أن سؤال الخبير بالطبعات والعارف بخبايا الكتب وأصحابها والأصول الخطية؛ له تأثير إيجابي على جودة الكتاب، وعلى حسن الاختيار، وموافقة المطلوب، والوقوف على رأي الخبير يتأتى بالسؤال مكاتبة، ومشافهة ومحاضرة، سواء كان ذلك كقابلة أو في المنتديات الإلكترونية، والمواقع التواصلية، أو غير ذلك.

❖ **المطلب الثاني: معايير نسبية**

- **1- عنوان الكتاب**

لا تخفى أهمية العنوان وأثره على القارئ ابتداء، فهو سمة الكتاب التي تدل عليه وترشد إليه، وهو بوابته الرئيسة ومدخله الأساس؛ وهو ما استدعى الاهتمام به من طرف المهتمين وأرباب الاختصاص، بالتدقيق في أركانه وشروطه وضوابطه.

2- دور النشر

- **أسماؤها:**

من خالط الكتب، وأدمن النظر فيها، لا يخفى عليه أن أسماء بعض دور النشر علامة جودة، حيث صارت أسماؤها دالة عليها، لكونها تهتم بإخراج طبعات ذات جودة عالية، ومادة علمية رصينة، لاهتمامها في النشر بجودة المحتوى والإخراج، وهذا يتطلب من الباحث الاطلاع على

إصدارات هذه الدور، ومدى احترامها لمعايير الجودة في الطبع والنشر، واحترام قواعد النزاهة والجودة والاحترافية، ومن بين هذه الدور نكتفي بذكر:

- ✓ **مؤسسة الرسالة**: أسست ببيروت سنة 1389هـ الموافق لـ 1970م، على يد رضوان إبراهيم دعبول. اشتهرت بسبب المحققين الذين عملوا معها، مثل شعيب الأرناؤوط، وعبد الله بن عبد المحسن التركي.
- ✓ **دار ابن الجوزي**: للنشر والتوزيع، بالمملكة العربية السعودية، تأسست سنة 1405هـ. الموافق لـ 1984م.

- **تخصصها:**

من تتبع نتاج الدور المتخصصة في إصدار الكتب الشرعية والاعتناء بها؛ أيقن دون مرية أنها أكثر مصداقية في احترام معايير الجودة من غيرها.

- **دعمها:**

مما يحفز دور النشرها ويسعفها على إنتاج الجودة ما تتلقاه من دعم مادي، ويظهر ذلك جليا في بعض الدول التي تسهر على تمويل المشاريع العلمية على جميع أصعدتها، على غرار دولة الكويت وقطر والسعودية والإمارات، فإنها تدعم الكُتَّاب والكتاب، فأغلب دورها ممتازة في تخصصها وجودتها.

- **خبرتها:**

العلمية والفنية:

تتخذ الدور العلمية المتميزة خبراءَ ولجنًا علميةً تسهر على مراقبة العمل العلمي

وإخراجه بالدقة المطلوبة والجودة المرجوة.

3- المقدمة:

المقدمة رأس الموضوع ووجه الكتاب، وهي النص المحيط[3]، وتعكس جودته من عدمها، ومن شرائطها ما يلي:

أ- الربط: أي؛ ترابطها مع الموضوع

ب- الانتفاع: أي؛ أن ينتفع بها القارئ

ت- المجاسرة: أي؛ أنها تحث القارئ على مواصلة القراءة

4- التعليقات

من المعالم المهمة للمفاضلة بين الطبعات؛ جودة التعليقات التي يفيدها المحقق في خدمة النص، لكونه يهتم ببيان الفروق بين النسخ، وينتقي من التعليقات أجودها مما يفيد نقله في مواضعه بشكل دقيق وموزون.

5- تعدد فهارس المحتويات

الفهارس الخادمة لمحتويات الكتاب تكتسي أهميتها كلما تعددت وتنوعت، نظرا لما تحققه من خدمة للقارئ من حيث سهولةُ الوصول للمعلومة داخل الكتاب وخارجه.

8- التقديم

تقديم بعض أهل العلم لبعض الكتب علامة جودة، لكونه مبنيا على دقة نظر وسعة اطلاع، وعلى حقيقة تصوره لمضمون الكتاب وفحواه.

المطلب الثالث: معايير كمالية

ويندرج تحتها ما يتعلق بالشكل الداخلي والخارجي للكتاب، مما له تأثير على القارئ، حيث يُطلب في إخراج الكتاب أن يكون أنيق المظهر، جيد الورق، متين التجليد، محكم التفقير، وغيرها من المكملات، وإليك ذكر بعضها:

1- الورق

الاعتناء بجودة الورق معيار مؤثر في الاختيار، وباعث على ميل القارئ للكتاب وطلبه.

وهذه بعض أنواع الورق المستعمل في الطباعة:

- **الورق الأبيض المعتاد**: ويختلف من حيث السمك وجودة الورق، ويختلف وزنه ما بين: 60 أو 70 أو 80 ... جرام، وكلما خف كان شفافا قلت جودته.
- **الورق الشاموا**: لونه أصفر وهو درجات بحسب الثقل
- **الورق الخام**: وهذا يكون في الطبعات القديمة، وتكون أوراقه ملتصقة من حافته، وميزته أنه يدل على ان الكتاب لم يستعمل.
- **ورق كتان**: كالذي في طبعة بولاق، وهذا جودته عالية.

2– التجليد:

تتجلى أهميته في كونه يضفي على الكتاب جمالية ورونقا، ويحفظه من الفساد؛ وهو أنواع؛ وأكتفي بذكر بعضها :

- تجليد كعب: أنظر الوثيقة الأولى
- تجليد كعب وأركان: أنظر الوثيقة الثانية
- تجليد اللف: أنظر الوثيقة الثالثة
- التجليد الفني: أنظر الوثيقة الرابعة
- غلاف كرتوني: أنظر الوثيقة الخامسة
- غلاف ورقي: أنظر الوثيقة السادسة

تنبيه: الوثائق المرفوقة أسفله مرقمة؛ تجدها من بداية الصفحة: 10 إلى الصفحة: 12

3– تفقير النصوص وعلامات الترقيم والشكل

جعل النص فقرات، مع حسن تخلص، واحترام علامات الترقيم، وصيغ عناوين مناسبة، وشكلِ ما يشكلُ، فهذا كله يسهم في تجويد الكتاب.

4–تخريج النصوص

عزو النصوص والآثار، والحكم عليها وفق المنهج العلمي المتبع في نقد الأخبار، علامة جودة.

5 – الإحالة على المصادر

الإحالة على المصادر التي استقى منها المؤلف مادته العلمية؛ معيار جودة، إذ يمكنك من الوقوف على صحة المنقول، وإمكانية التوسع في البحث.

وثائق توضيحية لأنواع التغليف والتجليد

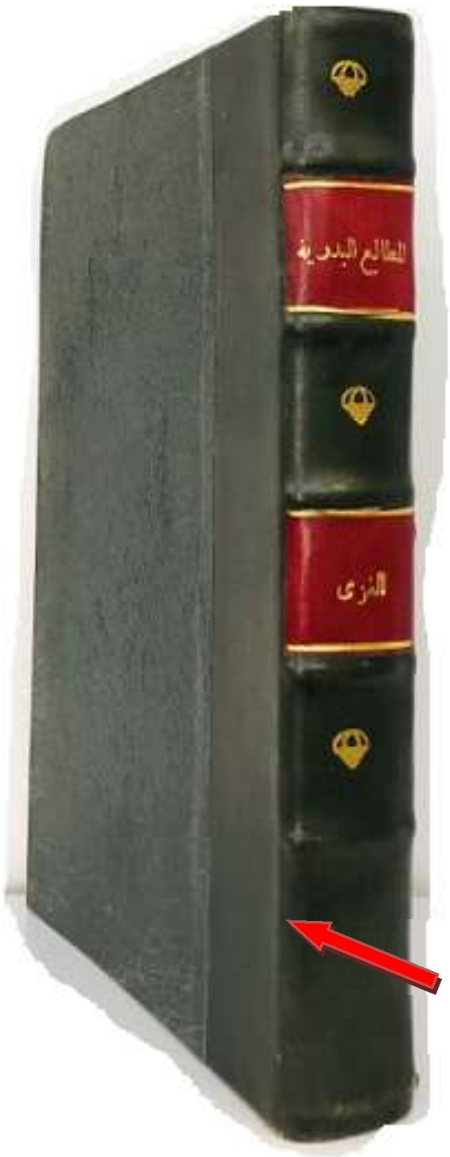

الوثيقة الأولى: تجليد كعب

الوثيقة الثانية: تجليد كعب وأركان

الوثيقة الثالثة: تجليد اللف

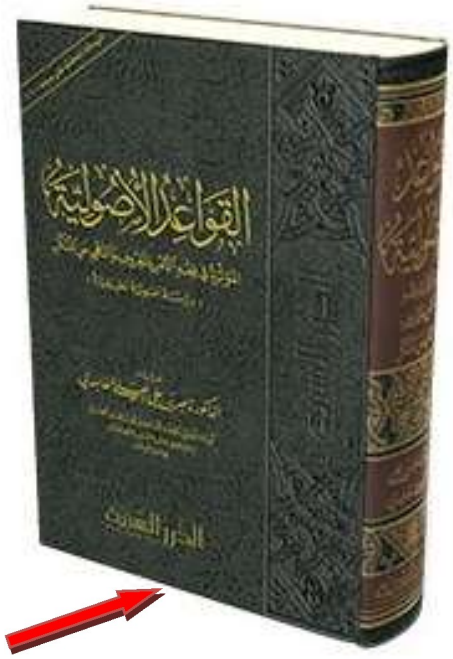

الوثيقة الرابعة: تجليد فني

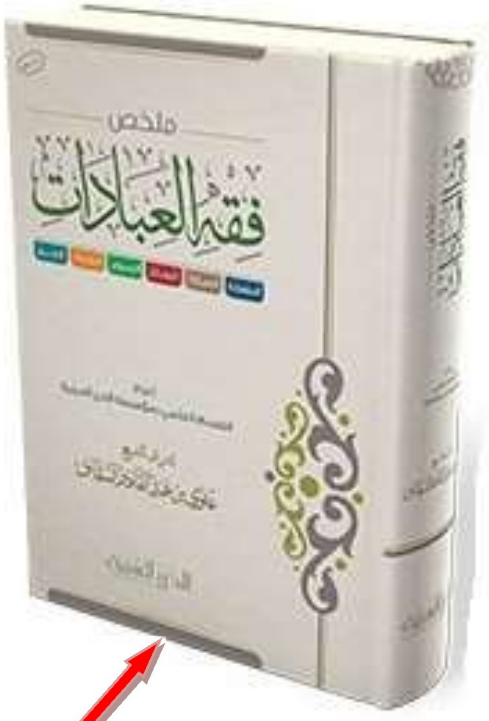

الوثيقة الخامسة: تغليف كرتوني

الوثيقة السادسة: تغليف ورقي

خاتمة

الحمد لله في البدء والختام وصلى الله على نبينا سيد الأنام.

لكل عمل خاتمته، وجماله في الكتاب حين تبدع الأقلام، وينتقى فيه درر الكلام.

ومما توصلت إليه في هذا البحث من نتائج ما يلي:

– محتوى الكتاب وطريقة تنظيمه وشكله الخارجي عوامل مؤثرة وعناصر أساسية ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار، إذا كان المراد تحقيق الجودة المطلوبة في عملية إنتاج الكتب.

– حسن الاختيار لا يتحقق بكثرة الاقتناء؛ بل بكثرة المطالعة.

– اهتمام الباحث بالطبعة العلمية الجيدة، وابتعاده قدر الإمكان عن الطبعة التجارية، وخاصة ما يعتمده أصلا للدراسة والبحث والمقارنة.

والحمد لله رب العلمين.

الهوامش:

[1] تحقيق النصوص ونشرها، لعبد السلام محمد هارون،**ص**: **37**، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السابعة، 1418هـ. 1998م، بتصرف.

[2] أصول نقد النصوص ونشر الكتب، جوتهلفبرجستراسر، **ص**: **14**دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية 1969م، بتصرف

[3] يقصد بذلك أنها تحيط النص الداخلي للموضوع، فكأن القارئ ينظر للكتاب كله من خلالها.